الفصل الأول

العولمة : المقاربات النظرية والفعاليات

مقدمة :

شغلت العولمة، كمفهوم وعملية، وماتزال تشغل العديد من الباحثين، والكتاب، والمفكرين، وحتى العامة .. الذين اتخذوا منها مواقف شتى، ما بين التأييد، والرفض، والمقاومة، وصولاً الى محاولة طرح البدائل في القليل من الحالات.

وتثار بصدد العولمة تساؤلات بشأن ماهيتها؟ وهل هي عملية/ظاهرة قديمة أم حديثة؟ ما الذي استجد راهنا ليستدعي الاهتمام الطاغي بهـا؟ هـل هي عملية ذات اتجاه واحد من المركز إلي المحيط، أم أن بالإمكان الحـديث بشأن أقلمتها وفقا للخصوصيات الاجتماعية/الثقافية للمجتمعات المحلية؟ مـا مدي تأثيرها علي البني المجتمعية لكافة المجتمعات الانسانية، إيجابا وسـلبا؟ .. وما إلي ذلك من تساؤلات.

ونحاول في هذا الفصل مناقشة هذه التساؤلات، مع التركيز على أهم المقاربات النظرية للعولمة، بما تحويه من تحديـدات، وأبعـاد، ومتغيـرات تتقاطع احيانا، وتختلف وتتباين في أحيان أخرى.

العولمة وتحول العالم لذاته :

لعل الحقيقة المؤكدة أن العالم بقاراته، ومحيطاته، وحالتـه الطبيعيـة التي هو عليها الآن كان موجودا منذ آلاف السنين، فالعالم في ذاته In itself ككيان طبيعي واقعي يتسم بالقدم، بيد أن التحول الذي طرأ علي حالـة هـذا العالم بحيث أصبح عالما لذاته For itself -إن صح التعبير- يرجع الـي فترة اكثر حداثة في تاريخ البشرية. هذا التحول الذي جعل الشعوب جميعـا

– ورغم التباينات في مستوي التقدم والتخلف التنموي – تنتمي الي منظومة عالمية واحدة، كان للنزعة الرأسمالية فيه الدور الرئيسى، وذلك منذ القرن الخامس عشر الميلادي، في حين كان لوسائل الاتصال والاعلام الجماهيري الحديثة الدور الأعظم في ازدياد حدة الوعي بهذا العالم بوصفه كلا واحدا، وذلك خلال العقود القليلة الماضية. وبهذا انتقل العالم من كونه عالما في ذاته ليصير عالما لذاته.

هذا وعلي الرغم من أن الوعي بالعالم قد اقتصر قديما علي مفهوم تاريخي، فلسفي، ديني بوصفه يرمز الي ادراك شامل لمجموع ما تم اكتشافه وتدوينه في كتب الرحلات والجغرافيا[١]، فإن الوعي الحديث بالعالم يعد وعيا علميا يتضافر في تشكيله كل من النشاطات الاقتصاديه العالمية، والعلاقات الدوليه، الى جانب الدور الأعظم لنظم المعلومات والاتصالات التكنولوجية الحديثة [٢]. وذلك مع الوضع في الاعتبار –بالطبع– أن امكانات تزييف هذا الوعي، بكيفية أو بأخري، واردة تماماً، وفي كافة الأوقات والظروف، بيد أن حديثنا ينصب –في هذا الصدد– على أن المعرفة العلمية بالعالم في كليته لم تكن متاحه قديما أما الآن فمعرفته من خلال العلم والتكنولوجيا ونظم الاتصال المتقدمة تصبح متاحة وممكنة بشكل يسير.

واذا كنا قد ميزنا بين ما هو موضوعي –الوجود– وما هو ذاتى –الوعى– فيما يتعلق بالعالم، فإن هناك من أقام تمييزا بين جانبين للعولمة، أحدهما ذاتى والآخر موضوعى. وإن كان قد إنحاز –كما سنرى– إلى التأكيد علي الجانب الموضوعي، في التحليل الأخير. حيث ينطلق (الجانب الذاتي) للعولمة –وفقاً لمنظوره– من وجهه نظر الفرد المتأثرة حياته بالعولمة،

---

[١] أنور عبد الملك ، تغيير العالم ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، العدد (٩٥) ، نوفمبر ١٩٨٥ ، ص ١٣ .

[٢] سمير أمين ، تأملات حول النظام العالمي ، المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، العدد (١٣٥) ، يونيو ١٩٩٥ ، ص ص ٧٥–٨٥ .

كإستخدامه لوسائل الاعلام، وموقفه الوظيفي، وسلوكه الانتخابي، واختيـارة الاستهلاكي ... أما (الجانب الموضوعي) فيبدأ من قـوى العولمـة ذاتهـا، كمؤسسات الاعلام الجماهيري، وقوى الاقتصاد الكوكبي، والمؤسسات التي تصيغ السياسات ، ومؤسسات التسويق الكوكبي [١].

ولا يفترض وجود الوعي الكوكبي –أي الجانب الذاتي للعولمة وفقـا لهذا الطرح– لمجرد "أن ملايينا من الناس حول العالم تشاهد نفس البـرامج والمسلسلات والاعلانات التليفزيونية، وتتخذ من نفس النجوم العالميين نماذج تقتدي بها، وتشتري المنتجات نفسها عبر العـالم أجمـع. إنمـا الاحتكـام الأساسي يكون إلي الحقائق الموضوعية ، والمتمثلة في كيفيـات اسـتخدام وسائل الاعلام ، وإدراك أسماء المشاهير ، والمعـدلات العامـه للمبيعـات العولمية . هذا هو الجانب الموضوعي للعولمة ، والذي لايعتمد في صـدقه علي الوعي الكوكبي لأي فرد كان [٢].

وهكذا، وكما نلاحظ، ورغم الحديث عن جـانبين للعولمـة، ذاتـي وموضوعي، نجد أن ما تم التركيز عليـه وتأكيـده بالفعـل هـو الجانـب الموضوعي فقط، في حين تم التشكيك في الجانب الذاتي للعولمة، والمتعلـق بوعي الأفراد والجماعات بهذه العملية. فلا مشاهدة البرامج والمسلسـلات العالمية، ولا الاقتداء بالنجوم العالميين، ولا الاقبـال علـي شـراء السـلع والمنتجات ذات الاسماء التجارية العالمية .. يعكس وعيا كوكبيا . رغم ان هذه الممارسات جميعها بالإمكان اعتبارها – من وجهة نظرنـا – تجليـات ذاتية للتأثر بالعولمة في جانبها الموضوعي ذي الطابع المؤسسي .

ومن ثم فقد يكون من غير الصائب اصدار حكم كلي مطلق بإنتفـاء هذا الوعي الذاتي ، ويكون من الأوقع التساؤل بشأن " مسـتويات " الـوعي

---

[١] Leslie Sklair , Globalization, capitalism and its Alternatives, third edition, oxford university Press, oxford, 2002, p:2.

[٢] Ibid,p:3 .

ذاته • فقد نشاهد نفس البرامج والمسلسلات ونحن متمتعين بمستوي من الوعي الذي يمكننا من فهمه والتواصل معه ايجابيا ، وصولا الي حد نقده علميا ، وقد لاتتمتع بهذا المستوي من الوعي فنكون مجرد مشاهدين سلبيين • وبين هذا وذاك تتراوح مستويات الوعي لدي المشاهدين علي مستوي كوكبي • وما ينطبق علي المشاهدة ينطبق كذلك علي اقتناء الملابس ذات الاسماء التجارية العالمية ، والاقتداء بنجوم عالميين•

ومن ثم فإن الممارسات التي قد تبدو "ذاتية" فيما يتعلق بالوعي الكوكبي تتفاعل جدليا مع الأخرى الموضوعية، والعكس بالعكس•

وإجمالا فإن مسألة "الوعي الكوكبي" ماتزال محل جدال، وحسب ما يقرر (سكلير) ذاته "فإنها تعد بمثابة سؤال اميريقي مفتوح، ذلك أن أحداً من منظري العولمة العديدين لم يدرس هذا الأمر دراسة فعلية [١]"

مفهوم العولمة :

ولعل هذا السؤال النظري/الامبيريقي المفتوح ينسحب علي مفاهيم عديدة، سواء أكانت قديمة ذات طابع كلاسيكي في التراث السوسيولوجي، أو حديثة فرضتها تطورات الواقع الذي يشهد تغيرات، بدلت وعدلت كثيراً من أساليب النظر والتحليل لهذا الواقع المعقد• ذلك ان التطورات المتسارعة أصبحت تفرض علينا ضرورة التعامل معها من خلال بعض المفاهيم التي قد تعبر عن بعض خصائصها وسماتها في مرحلة التحول • حيث تمثل مراحل سقوط الانموذجات السائدة The Paradigms فراغاً مفاهيمياً لايملئه سوي الطروحات المتواترة والمحملة بكثير من القلق المعرفي – الذاتي والموضوعي معاً – تلك الطروحات التي لاتكاد تستقر علي حال، فهي موسومة بطبيعة المرحلة التي تحاول جاهدة توصيفها تمهيدا لصياغة أنموذج علمي جديد ملائم• ومن ثم تفضي بنا متابعة الأدبيات الي مفاهيم من قبيل:

---

[١] Ibid,p3.

ما بعد الحداثة، ما بعد البنيوية ٠٠ فضلا عن نهايات الايديولوجيا، والفلسفة، والتاريخ ٠٠ الخ وهي مفاهيم لم تنجح – كما هو واضح – سوي في تقديم التوصيف لطبيعة المرحلة ، ومن ثم جاءت في هيئة الانتقالي أو المرحلي الذي قد يفضي مستقبلا الي ما هو اكثر تبلورا٠ وقد لانجافى الحقيقة والواقع اذا ما أكدنا أن المفاهيم التى تطرح تكون – فى أحيان عديدة – ذات أبعاد سياسية وايديولوجية ، فهى تارة محافظة وتارة أخرى راديكالية ، وبينهما مناطق عديدة للتقاطع ٠ هذا مع وعينا بأن مفاهيم المحافظة والراديكالية ذاتها مفاهيم نسبية ، كما وأنها لم تعد مرتبطة ، بشكل قاطع ، باليمين أو اليسار ، مع التبدل الذى أصاب الواقع ، ومن ثم أعاد صياغة معظم أنساقنا المفاهيمية ، تلك المفاهيم التى تمثل – فى التحليل الأخير – أهم مكونات النظريات التي تحاول تحليل الواقع وتفسيره ٠

هذا ولعل من أبرز المفاهيم التى طرحت على الساحة الثقافية خلال السنوات الأخيرة ، مفهوم العولمة The Globalization والذي يحوى العديد من تناقضات الواقع الذى يعكسه ، كما وأن المواقف تجاهه تتباين وفقا للتوجهات النظرية المختلفة والتى تتراوح بين القبول والتأييد من ناحية ، والنقد والمعارضة والرفض من ناحية أخرى ، مع وجود طيف واسع من تباينات المواقف النظرية بين هذا وذاك

المقاربات النظرية لمفهوم العولمة :

ونستعرض فى هذا الصدد بعض أهم المحاولات التى بذلت لتصنيف هذه المقاربات النظرية ٠ أحداهما قام بها كلا من(فيك جورج v. George) و (بول وايلدنج P.Wilding) ، والأخرى كانت ل (ليزلى سكلير L.Sklair) ٠ وهو ما نتلوه بمحاولة قام بها الباحث لتصنيف هذه المقاربات من خلال مجمل المساهمات المطروحة.

(I)على امتداد فصل كامل ، حاول كل مـن : جـورج ووايلـدنج ، تقـديم تصنيف شامل للمقاربات الرئيسية للعولمة ، واسفرت محاولتهما هذه عن وجود أربعة مقاربات اجتهدا في عنونتها بعناوين ذات دلالة ، وجـاءت على النحو التالى :

١- المتحمسون للتكنولوجيـا Technological Enthusiests : والـذين يركزون على المتغير التكنولوجى معتبرين اياه المتغير الأكثر أهمية فى تفعيل عملية العولمة ٠

٢- المتشائمون الماركسيون Marxisant Pessimists : وهم الأكثر نقـدا للعولمة بالتأسيس على التراث الماركسي الرافض للامبريالية والاستغلال الرأسمالي، والذى يعتبر أن العولمة تمثل امتدادا تاريخيـا للرأسـمالية العالمية ٠

٣- البراجماتيون التعدديون pturalist Pragmatists

وينزعون الي تناول العولمة من خلال متغيرات متعددة منها ما هـو سياسي ، وما هو اقتصادي ، أو تكنولوجي ، الخ ٠ ولا يحاولون الفصل بين هذه المتغيرات ، وانما يتناولونها بقدر من التعادل ٠ ورغم انهـم يؤيـدون العولمة إجمالا ، فإنهم ينتقدون – بدرجات متفاوتـة – محاولتهـا للهيمنـة الثقافية علي العالم ٠

٤- الدوليون المتشككون Sceptic internationalists :

واذا كانت المقاربات السابقة ذوات موقف من العولمة ، سواء بالتأييد أو الرفض ، ومن ثم يعترفون بوجودها مبدئيا ، فإن المنتمـين إلـى هـذه المقاربة " الدوليون " لايعترفون بوجود العولمة من الأساس على اعتبار أن

التطورات الراهنة علي مستوي العالم ، لم تفض بعد الى تحول جذرى من الحالة الدولية إلى الحالة العولمية [١]

(II) وإلى جانب محاولة (جورج وايلد) ، كانت هناك محاولة أخرى قدمها (سكلير) ، والذى صنف – كسابقيه– المقاربات إلى أربع رئيسة ، اشتق مسمياتها من نفس المسميات التى اطلقها عليها أصحابها والمنتمين اليها • وقد جاءت على النحو التالي :

١- ***مقاربة النظم العالمية*** ***The world – systems. A*** .والقائمة على أساس مساهمة (ايمانويل والبرشتاين) التى قدمها خلال عقد السبعينات من القرن العشرين ، وقسم خلالها الدول إلى مركزية ، ومحيطية ، وشبه محيطية ، فى اطار النظام الرأسمالى العالمي •

وينتقد (سكلير) منظرو هذه المقاربة لغلبة توجهاتهم الاقتصادية، ولارتكاز تحليلاتهم – في هذا الصدد – علي الدولة القومية ، التى انتهي زمانها من وجهة نظره ، وكذا استخدامهم مفهومى الكوكبى والدولى بشكل تبادلى دون تمييز •

٢- ***مقاربة الثقافة الكوكبية*** ***The Global Culture. A :*** ومن أبرز روادها (جيدنز A.Giddens) و(روبيرتسون R.Robertson) وهم يتجهون – في الأساس – نحو جعل المتغير الثقافى متقدما في الصدارة ، سابقا على السياسى و/ أو الاقتصادى • كما أن بينهم اهتمام مشترك بالتساؤل بشأن كيف تظل هوية الفرد و/أو الأمة باقية وحية في مواجهة" الثقافة الكوكبية " البازغة"

ومن أبرز مساهماتهم – في هذا الصدد – طرحهم لمفهوم (العولمحية Glocalization) ، والذى أنصب على تبين وفهم

---

[١] Vic George and Paul wilding, Globalization and Human welfare, First published by Palgrave, New York, 2002, pp.3-15 .

الشبكة المعقدة الضخمة ذات الأوجه المتعددة للعلاقات المحلية – الكوكبية ، مع تأكيدهم الواضح على التوجه " المحلي "• وينتقدهم (سكلير) لتركيزهم " الثقافوي " علي عملية العولمة •

٣- مقاربة المجتمع الكوكبي *Global society.A* :

وتناقش انحدار قوة الدولة القومية، وصعود المؤسسات عبر القومية والكوكبية ، وانضغاط الزمان –المكان ، وعلاقة ذلك بالناس فى جميع أنحاء العالم •

وينتقدهم (سكلير) لشموليتهم المفرطة ، وتفاؤلهم غير المبرر بالعولمة •

٤- مقاربة الرأسمالية الكوكبية *Global capitalism. A*:

ويتبناها (سكلير) ويدافع عنها • حيث يقرر أن النظام العالمي قد تجاوز خلال السنوات الأخيرة – وبفعل العولمة – مفهوم الدولة القومية ليتحول نحو الكيانات متعدية القومية ، حيث يعمل بشكل كلى علي ثلاث مستويات من الممارسات متعدية الجنسية " القومية " ، الاقتصادية ، والسياسية ، والثقافية ، وكل ممارسة من هذه الممارسات محكومة " أو مهيمن عليها " من خلال مؤسسة رئيسة تقود خطاها نحو العولمة • حيث نجد أن الشركات متعدية الجنسية هي المحرك الرئيس للممارسات الاقتصادية متعدية الجنسية ، والطبقة الرأسمالية متعدية الجنسية هى المحرك الرئيس للممارسات السياسية متعدية الجنسية ، كما أن المحرك الرئيسى للممارسات الايديولوجيه

الثقافية متعدية الجنسية يتمثل فـــى الايديولوجيـــة الثقافيـــة للنزعـــه الاستهلاكية [١]

(III) ومن جانبنا نعتقد أن بالإمكان ادماج المقاربات النظرية الأربع للعولمة التى قدمها (جورج ووايلدنج) من ناحية ، و(سكلير) مـــن ناحيـــة أخرى فى ثلاث أساسية • حيث تدمج – فى المســـاهمة الأولـــى – مقاربة (المتحمسون للتكنولوجيـــا) مـــع مقاربـــة (البراجمـــاتيون التعدديون) ، فالتكنولوجيا هى أحد المتغيرات التـــى مـــن الممكـــن تضمينها بين المتغيرات المتعددة التى يركز عليهـــا المنتمـــون إلـــى المقاربة البراجماتية • خاصة – وهو الأهم – أن الاطـــار النظـــرى والمنطلق الايديولوجى لكلا المقاربتين لا يختلف كثيرا ، فالاختلافات بينهما كمية •

وعلي الجانب الآخر ، نجد أنه من الممكن – إلى حد كبيـــر – دمـــج مقاربة (النظم العالمية) مع الأخـــرى الموســـومة بمقاربـــة (الرأســـمالية الكوكبية) لدى (سكلير) ، فمنطلقاتهما متشابهة إلى حـــد بعيـــد ، حيـــث التركيز على نقد العولمة الرأسمالية من منظور كلى شامل ، ماركسى فـــى الأساس ، هذا اذا ما تجاوزنا عن اختلافهما حول الموقف من الدولة القومية ودورها الراهن فى صدد عملية العولمة كماً وكيفاً •

* وبالترتيب عليه ، نرى أنه قد يكون من الملائم تصنيف مقاربات العولمـــة المتعددة والمختلفة على أساس وجـــود فـــريقين رئيســـيين ، يضـــم الأول المعترفين بالعولمة ، فى حين يضمَ الآخر غير المعترفين بها والمشككين فى وجودها ، الذين أسماهم (جورج ووايلدنج) : الدوليون المتشككون •

---

[١] L.sklair, competing conceptions of Globalization, Journal of world – systems research, vol 1999, pp:149-157.

هذا على مستوى ، وعلى مستوى آخر ، بالإمكان التمييز داخل الفريق الأول – المعترفين بالعولمة – بين توجهين أيديولوجيين رئيسيين هما :

(أ) الليبرالي (ب) اليساري .

وبشكل أكثر تفصيلا :

(أ) ينطوى الليبرالي على مساهمات مؤيدو العولمة ، بتنوعاتهم المختلفة ، من المحافظين إلى الاصلاحيين ، حيث نبدأ بمن يبدون التأييد المطلق لها ، كالمتحمسين للتكنولوجيا (فى مسمى جورج وايلدنج) وأصحاب مقاربة المجتمع الكوكبى (كما فى تصنيف سكلير) ، وننتهى عند الذين يقبلون العولمة بشكل عام ، وإن كانوا ينتقدون بعض جوانبها ، خاصة الثقافية ، وهم من أسماهم(جورج وايلدنج) البراجماتيون التعدديون ، ووردت مساهمتهم لدى (سكلير) تحت عنوان مقاربة الثقافة الكوكبية .

(ب) فى حين يضم اليساري مساهمات متعددة لأصحاب توجهات نظرية يسارية ، تطورت تاريخيا فى اشتباك نقدى دائم مع الرأسمالية العالمية . وقد اطلق عليهم (جورج وايلدنج) مسمى : المتشائمون الماركسيون ، فى حين صنفهم (سكلير) ضمن مقاربتين هما : النظم العالميه ، وا لرأسمالية الكوكبية .

تعريفات العولمة :

هذا ونعرض فيما يلى نماذج لأبرز التعريفات التى طرحت بشأن العولمة ، وذلك وفقا للتصنيف الذى اقترحناه للمقاربات النظرية للعولمة .

وقد نلاحظ – بداية – أنه رغم الاختلافات والتباينات النظرية والايديولوجية لدى التيارين الرئيسيين : الليبرالى واليسارى ، فإنهما يتفقان نسبياً على مقولات تتعلق بإنكماش Shrinking ، وانضغاط Compression الكوكب بفعل عوامل ومتغيرات يختلفون نسبياً حول أولويتها ، فقد تكون تكنولوجية ، أو اقتصادية ، أو ثقافية ، أو ايديولوجية

٠٠ الخ ٠ إلا أن الخلاف الواضح بينهما يقع دون لبس ، حينما يعبرون عن موقفهم إزاء هذه العملية – العولمة – ومدى ايجابيتها وسلبيتها على مستوى العالم ٠

ونستعرض فيما يلى نماذج لتعريفات العولمة ، طرحها هذان التياران الرئيسيان ، إلى جانب رؤية التيار الثالث الذى لايعترف بهذه العمليـــة مـــن الأساس ٠

أولا : الليبراليون :

(١) يقرر (جيدنز A.Giddens) انها تكثيف للعلاقات الاجتماعية علـــى اتساع العالم ، وهى العلاقات التي تربط البلدان المتباعدة بالطريقـــة التى تصبح خلالها الأحداث المحلية مشكلة من خلال أحداث تقع على بعد أميال بعيدة عنها ، والعكس بالعكس [١] ٠

(٢) ويذهب (سكولت J.scholte) إلي أنها تشير إلى العمليـــات التـــى تتمتع فيها العلاقات الاجتماعية بحالات من تلاشى المسافات والحدود نسبيا [٢]

(٣) كما يعتبر (هيلد وآخرون ٠ D.Held et al.) أن العولمة تنطـــوى مبدئيا على امتداد الأنشطة الاقتصادية والإجتماعية عبر الحدود [٣] ٠

(٤) ويعرفها (روبرتسون R.Robertson) بأنها تنطوى على إنضغاط الكوكب وازدياد حدة الوعى به بوصفه يمثل كلا واحدا [٤]

(٥) ويؤكد (فولشر J.fulcher) على نفس المعنى السابق تقريبا حينمـــا يذهب إلى أن العولمة هى تنمية وتطوير لعلاقات بلا مسافة نســـبيا ،

---

[١] A.Giddens, The consequences of modernity. polity Press, cambridge, 1990, p:64 .

[٢] J. scholte, The Globalization of world politics, in:J. Baylis And S.smith (eds) The Globalization of world politics, oxford (Univ) Press, oxford, 1997, p:14 .

[٣] D.Held et al , Global Transformations, Polity press, cambridge, 1999, p : 15.

[٤] R.Robertson, Globalization, social Theory and global culture, sage publishers, London, 1992, p:8 .

تلك العلاقات التى تمتد إلى ما وراء الوحدات الوطنية وتنطوى على نمو وعى بالعالم فى كليته [١] .

ثانيا : اليساريون :

واذا كانت تعريفات الليبراليين للعولمة قد ركزت على عوامل انضغاط الزمان – المكان ، وتكثيف العلاقات بين البشر فى تجاوز للحدود الوطنية ، فإن تعريفات اليساريين تعكس تنويعاً لعلاقات تتباين فى درجة قوتها وكثافتها بالتراث الماركسي • وقد نلاحظ ذلك فى تركيزهم على " رأسمالية " العولمة بشكل واضح ، وفى أمثلتنا لتعريفاتهم ايضاح لذلك :

(١) حيث يقرر (سيفاناندان A.sivanandφn) أن عملية العولمة قد قادت إلى المرحلة المتأخرة من الرأسمالية ، انها الرأسمالية الكوكبية • واذا كانت الامبريالية هى المرحلة الأخيرة للرأسمالية ، فإن العولمة هى المرحلة الأخيرة للإمبريالية [٢] .

(٢) كما تتضح صلة (هارفى D.Harvey) بالعولمة من خلال تقريره : ان انضغاط الزمان يعنى انضغاط المكان ، ذلك الذى يقارب المسافات الجغرافية • وهو الانضغاط الذى مكن الرأسمالية من أن تعمل على نطاق عالمى ، بحيث تختار مواقع الانتاج التى تعد الأكثر فائدة من أجل امكانية تحقيق أعلى ربح • وفى حين يكون الانتاج محليا يغدو الاستهلاك كوكبيا[٣] .

---

[١] J.fulcher, Globalisation, The nation- state and global society, The sociological Review, vol 48, no.4.Nov 2000, p: 525.

[٢] A.sivanandan , Globalism and The Left, Race And class, Vol (40), No. (2/3), 1998/99, p:5

[٣] D.Harvey, Th condition of postmodernity, Blackwell press, oxford, 1989, p:293 .

– وأيضا : ديفيد هارفى ، الرأسمالية " مصنع الثقافة " ، فى تيمونز رويبرتس أيمي هايت (محررا) : من الحداثة إلى العولمة ، ترجمة سمر الشيشكلى ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، عدد (٣١٠) ديسمبر ٢٠٠٤ ، ص ص : ١٧١ – ١٧٢ •

(٣) أما (سكلير L.Sklair) فيتحدث عن مفهوم للنظام الكوكبى القائم على أساس الممارسات متعدية الجنسية " القومية" ومن ثم تحدد العولمة لديه بإعتبارها "طريقة خاصة لتنظيم الحياة الاجتماعية عبر الحدود القائمة للدولة القومية" :

وبقدر أكبر من التحديد يقرر : ان دراسة العولمة تعتمد على بروز ظاهرتين ترتبطان بها هما : (١) بزوغ الاقتصاد المعولم ، القائم على نظم انتاج ، وتمويل ، واستهلاك جديدة (٢) إلى جانب فكر الثقافة الكوكبية [١] .

وفى اضافة بالغة الأهمية ينبه (سكلير) إلى وجود لبس فى التعريفات التى قدمت بصدد العولمة والعولمة الرأسمالية . ويعتقد – محقا من وجهة نظرنا – " أن التمييز بينهما يمنح الفرصة للحديث بشأن الحركات المضادة للعولمة الرأسمالية . ذلك أن العولمة الرأسمالية هى صيغة تاريخية ، ولكنها ليست الصيغة الوحيدة الممكنة للعولمة . وقد يكون مفهومى للعولمة الاشتراكية محاولة لجعل العولمة موضوعاً جدلياً ، الموضوع الذى من الممكن خلقه عبر النظر والممارسة [٢]" .

(٤) ويذهب (لاولين T.Lewellen) فى التعريف الذى قدمه للعولمه الى أنها ." عبارة عن التدفق المتنامى للتجارة ، والتمويل ، والثقافة ، والأفكار ، والناس من خلال تقنية معقدة للاتصالات ، والسفر ، وبواسطة الانتشار العالمى واسع النطاق للرأسمالية الليبرالية الجديدة . هذا من ناحية ، والتكيفات والمؤامات المحلية لها من ناحية أخرى ، والمقاومات الموجهة ضد هذه التدفقات من ناحية ثالثة " [٣] .

واذا كنا نتفق – اجمالا – مع ما ورد من تعريفات تخص هذه المقاربة ، فإننا نؤكد – تحديدا – على مساهمة (سكلير) ، بما تضمنته من

---

[١] L.sklair, competing conceptions, (op.cit) , pp :143 –146

[٢] L.Sklair, Globalization, capitalism and its Alternatives, (op.cit) ,p :5 .

[٣] T.Lewellen, The Anthropology of Globalization, westport, Bergin and Garvey, 2002, pp :7-8

تمييز بين مفهومى العولمة والعولمة الرأسمالية • فإذا كانت العولمة تشير إلى كافة المؤسسات ، والتنظيمات والبنى " العلاقات " ، والتصرفات ، والرؤى •• المتعدية للجنسية " أو القومية " بشكل عام ، ومن ثم فهى تحوى داخلها ما هو رأسمالى وما هو مضاد للرأسمالى ، فإن العولمة الرأسمالية – تحديدا – هى تلك المرتبطة بالقيم ، والرؤى ذات الطابع الرأسمالى ، والتى تدفع في هذا المسار دون غيره ، مع تقديم كافة الدفوع من أجل دعم استمراريته •

ومن ثم ، لايمكننا النظر الي مفهوم العولمة بوصفه مفهوما وحيد الاتجاه ، فهو مفهوم معقد يحوى العديد من تناقضات الواقع الذى يعكسه •

وكذا لايجب النظر إلى العولمة – مفهومياً وواقعياً – إلا فى اطار وضعية التعقد Complexity ، التى ترسى فى قناعاتنا خطأ النظرة أحادية الاتجاه ، أو حتى المانوية الحدية التى تنحاز إلى أحد اتجاهين ولا ترى الصحة فى غير ذلك مهما تبدت أمامها العديد من التقاطعات والتواصلات ، والتى تحمل بداخلها تناقضات تتفاوت كماً ونوعاً •

وبالترتيب على ذلك ، نتساءل : إلى أى حد يكون من الممكن ان تفضى هذه الحالة – نقصد العولمة بما تتضمنه من عولمة رأسمالية وحركات مضادة لها – إلى مآل يختلف اختلافا جوهريا عن وضعيتنا الراهنة فى ظل نظام رأسمالى عالمى مهميمن ؟ أم يظل هذا النظام متواجداً فى خطوطه العريضة مع تزايد التنويعات داخل نطاقه ؟

نتساءل هذه التساؤلات متفقين منذ البداية على أن هذه العملية ليست وحيدة الاتجاه ، وأن ما هو كامن Potential داخلها مايزال واعدا ، خاصة واننا نتحدث بشأن مستقبل ، أو مستقبلات – ولا ننحصر داخل نطاق " الراهن " ، الذى قد يوقعنا أسر التفكير من خلاله إلى التسليم كلية بأن " المستقبل " هو مجرد امتداد خطى له – أى الحاضر – لا أكثر ولا أقل ؟ وأيا كانت الاجابات الاستشرافية على هذا التساؤل ، فإن التفاعلات الداخلية للعولمة ، والناتجة عن جهود فاعلية (Actors) مؤثرين ، سيكون هو

الفيصل فى تحديد الاتجاهات الأساسية للعولمة وانتقالها من مرحلة إلى أخرى من التطور ٠

ثالثاً : غير المعترفين بالعولمة :

(١) رغم نفى كلا من (طومبسون G.Tompson) وزميله (هيرست P.Hirst) للعولمة ، وعدم اعترافهما بوصول العالم إلى مرحلة العولمة بعد ، خاصة على المستوى الاقتصادى ، فإن (طومبسون) يطرح تعريفاً للعولمة " الاقتصادية " ، حيث يرى أنها " العملية التى عن طريقها تصبح الاسواق والانتاج فى الدول المختلفة تعتمد كل منها على الأخرى بشكل متزايد ، بسبب ديناميكات التجارة فى السلع والخدمات وتدفق رأس المال والتكنولوجيا [١] ٠

(٢) أما (ويز Weiss) فيرى أن المشهد الراهن لا يتجاوز " ازدياد أهمية الأسواق الخارجية " الاجنبية " مقارنة بالأخرى الداخلية " المحلية " ، وهو ما يفضى إلى انفتاح متعاظم واعتماد متبادل داخل النظام الدولى ٠ ومن ثم يصبح الاقتصاد العالمى أكثر اتصالاً اليوم بأكثر مما كان عليه خلال عقدى الستينات والسبعينات [٢]٠

* هذا ويلخص (طومبسون وهيرست) حجج هذا الفريق غير المعترف بالعولمة فى عدة نقاط تتمثل فيما يلى :

(١) ان الاقتصاد الراهن المتسم بطابع عالمى عالى المستوى ليس غير مسبوق ، فهو واحد من عدد من الأوضاع أو الحالات المتميزة للاقتصاد العالمى التى وجدت منذ أن بدأ اقتصاد مبنى على التكنولوجيات الصناعية الحديثة فى أن يصير معمماً ابتداء من ستينات القرن التاسع عشر ٠ وفى بعض الأوجه يعتبر الاقتصاد

---

[١] جراهام طومبسون ، تحديد موقع العولمة ، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية ، العدد (١٦٠) ، يونيو ١٩٩٩ ، ص١٠ ٠

[٢] L..Weiss, The Myth of the powerless state. Polity Press, cambridge, 1998, p :170 .

العالمى الراهن أقل انفتاحا وتكاملا من النظام الذى ساد من ١٨٧٠ إلي ١٩١٤ .

(٢) يظهر أن الشركات متعدية الجنسية بحق نادرة نسبياً؛ فمعظم الشركات ذات قاعدة قومية وتتاجر على المستوى متعدد القوميات على أساس من قوة موقع قومى رئيسي للإنتاج والمبيعات ، ويبدو أنه لاوجود لميل رئيسى نحو نمو شركات عالمية بحق .

(٣) ان حراك رأس المال لاينتج تحولا ضخما للاستثمار والعمالة من البلاد المتقدمة إلى البلاد النامية ، بل يتركز الاستثمار الخارجى المباشر بقدر كبير وسط الاقتصادات الصناعية المتقدمة ويظل العالم الثالث هامشياً فى كل من الاستثمار والتجارة بصرف النظر عن أقلية ضئيلة من البلاد المصنعة حديثا .

(٤) أن اقتصاد العالم – كما يقر بعض الغلاة من أنصار العولمة – بعيد عن أن يكون كوكبيا بحق ، بل إن التجارة والاستثمار والتدفقات المالية متركزة فى ثلاثى : اوروبا واليابان وأمريكا الشمالية ، ويبدو أن هذه السيطرة مهيأة للإستمرار .

(٥) وهكذا فإن لهذه القوى الاقتصادية الكبرى (مجموعة الثلاثة) القدرة ، خاصة اذا نسقت سياساتها ، على ممارسة ضغوط تحكم وتوجيه قوية على الأسواق المالية والميول الاقتصادية الأخرى ، وعلى هذا النحو لا تكون الاسواق العالمية على الاطلاق متجاوزة التنظيم والتوجيه حتى على الرغم من أن النطاق الراهن والأهداف الجارية للتحكم الاقتصادى محدودان بواسطة المصالح المتباعدة للقوى العظمى والمذاهب الاقتصادية السائدة بين نخبتها [1] .

---

[1] بول هيرست ، جراهام طومبسون ، مساءلة العولمة ، الاقتصاد الدولى وامكانات التحكم ، ترجمة ابراهيم فتحى ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ص ٤ – ٥ .

* ولكن ورغم أننا نعتقد بأن النظام الرأسمالى العالمى – وفى القلب منه الشركات متعدية الجنسية – لم يصل بعد إلى المرحلة (أو الحالة) التى شرحها كل من (طومبسون وهيرست) والتى يصبح فيها الاقتصاد العولمى الجديد ذاته هو الكيان الرئيسي الذى يعمل من أعلى ، وبشكل مستقل عن الاقتصادات القومية ووكلائها ، ويحدث تأثيره فيهم ، ويطبعهم بطابعه ، مشتملهم كلية داخل ديناميكيته [١] .

رغم ذلك ، فإنه قد يكون من المتوقع الوصول إلى هذه الحالة – المرحلة – بالفعل اذا ما استمرت عملية العولمة فى طريقها دونما معوقات رئيسية تناقضها وتوقف مسيرتها ، والأهم طروحات بديلة تتسم بجديتها وفاعليتها .

---

[١] بول هيرست ، جراهام طومبسون ، المرجع السابق ، ص ص ٩ –٢٥ .

فعاليات العولمة في اطار التيارين : الليبرالى واليسارى :

اذا كنا قد أوضحنا – فى مواضع سابقة – أن كلا التيارين يسلم مبدئيا بوجود العولمة ، وأن الخلاف والتمايز فيما بينهما يتضح فى أولوية المتغيرات الدافعة والمحركة من ناحية ، ومدى ايجابية أو سلبية هذه العملية – العولمة الرأسمالية بالتحديد – من ناحية أخرى ، فإن لنا أن نستعرض فى التالى أبرز المساهمات النظرية لكلا التيارين ، بالتركيز على عدة أبعاد نبلورها فيما يلى :

١) البدايات التاريخية للعولمة .

٢) المتغيرات الدافعة " المحركة " .

٣) الانعكاسات وردود الفعل .

أولاً : البدايات التاريخية للعولمة :

فى حين ينزع قسم مهم من المنتمين إلى التيار الليبرالى ، وهم ذوو المقاربة الثقافية تحديداً ، إلى القول بأن للعولمة تاريخ طويل تزامن مع بدايات الحداثة فى نهايات القرن الخامس عشر [١]، فإن قسما آخر من المنحازين إلى المتغير التكنولوجى ، ضمن نفس التيار ، يتجه إلى رؤية أنها قد بدأت بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥) كنتيجة للتكنولوجيات الحديثة فى النقل والاتصالات ، وهى التكنولوجيات التى تصاحبت مع ايديولوجيا جديدة هدفت إلى تطوير عولمة الأسواق ورأس المال [٢] .

* وعلي الجانب الآخر ، ولذا كان هذا التيار – اجمالا – قد ربط بين العولمه من ناحية والحداثة من ناحية أخرى ، فإن اليساريون ، بتباياتهم

---

[١] I.Scholte, Globalization: a critical introduction, Macmillan, Basingstoke, 2000, pp:9-22.

[٢] Vic george and P.wilding, Globalization, (op.cit),p:3

المختلفة ، لايرون العولمة إلا فى ظل الرأسمالية وتطوراتها التاريخية . وذلك ما يقرره (روبنسون Robinson)بقوله :" ان العولمة تمتد بأصولها إلى بدايات الرأسمالية فى أوروبا الغربية ، وفى فجر الامتداد الاستعمارى الاوروبى والنظام العالمى الحديث منذ خمسمائة عام ، حيث الانتشار الحثيث لنمط الإنتاج الرأسمالى حول العالم ، واستبداله لعلاقات الانتاج ما قبل الرأسمالية " (١).

ورغم أن للعولمة تاريخ طويل فى ارتباطها بالرأسمالية ، وفقا لهذا المنظور ، فإنها قد اكتسبت زخما قويا خلال فترة ما بعد الحرب الثانية بفعل عاملين رئيسين ، هما : الابتكارات التكنولوجية وسقوط الاتحاد السوفياتى ، حيث عجل الأول من عولمة رأس المال والأسواق ، فى حين جعل الآخر من النظام الرأسمالى نظاما يفوق البدائل الاشتراكية المتواجدة (٢).

* وسواء ارتبطت العولمة " تاريخيا " بالحداثة أو بالرأسمالية ، فإن تطوراتها خلال هذا الزمن البعيد ، كانت بمثابة التراكمات الكمية ، التى أفضت إلى تحول كيفي خلال السنوات القليلة الماضية ؛ حيث انها أصبحت أكثر شمولا ، وقوة ، وسرعة وتغلغلاً فى حياة أقسام واسعة من البشر ، وعلى كافة المستويات والصعد ، سواء أكانت اقتصادية ، أم تكنولوجية ، أم اجتماعية ، أم ثقافية .

وهى تمضى فى طريقها عبر مسارات تتفاوت فى قوتها النسبية على مستوى كوكبى . وهى وإن كانت ذات طابع رأسمالى غالب ومهيمن فى الراهن ، فإن تناقضاتها الداخلية بالإمكان متابعتها بدرجات مختلفة من القوة

---

(١) W.Robinson, Globalisation:Nine Theses on our epoch, Race And class, Vol (38), No.(2), 1996, p:15.

(٢) V.george, Globalization -, (op.cit), p:9 .

والفاعلية ، متمثلة فى أنماط وأشكال متباينة فى مستويات نضجها وعلى مدى طيف واسع من الرؤى والتوجهات النظرية والايديولوجية .

ثانياً : المتغيرات الدافعة " المحركة " :

تتباين الرؤى حول المتغيرات الدافعة والمحركة لعملية العولمة وفقاً للأطر النظرية الكامنة خلف هذه الرؤى . فإذا كان نمط الانتاج الراسمالى هو القوة الرئيسية المحركة لهذه العملية بالكامل لدى المنتمين إلى التيار اليساري ، بما يشتمل عليه من تنوعات واختلافات ، فإن التيار الليبرالي كان الأكثر تباينا فى هذا الصدد وفي حين كانت (المقاربة الفيبرية) هى الغالبة على تناولهم النظرى ، بعدم تحديدها لمتغير أو قوة رئيسة بعينها ، وإنما حشدها لعديد من المتغيرات : سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية ، وثقافية ، فإن قسما منهم كان أشد نزوعا نحو (المتغير الثقافى) من (منظور بارسونزي) ، في حين ركز قسم آخر على (المتغير التكنولوجى) بطريقة توحى بحتميته وأولويته على غيره من المتغيرات والسياقات الحاكمة .

ونستعرض فيما يلى هذه المتغيرات بقدر من التفصيل :

(١) التيار الليبرالى :

يذهب قسم واسع من المنتمين إلى هذا التيار إلي أن القوى الدافعة لعملية العولمة متعددة ، تتضمن التكنولوجيا ، والانتاج الرأسمالى ، والقوة السياسية ، كتكوين الدولة القومية وأنشطتها ، فضلا عن الايديولوجيا . ولا توجد لديهم – كما يقرر جورج ووايلدنج – ضرورة لتصنيف هذه القوى إلى أساسية ومترتبة [١] .

أنهم يعتقدون " أنه من الخطأ فصل الثقافة عن السياسة أو الاقتصاد ، أو النظر إلى الثقافة كظاهرة لاحقة [٢] .

---

[١] V.george, Ibid, p:13.

[٢] T.Spybey, Globalization and world society, Polity press, cambridge, 1996, p :81.

ونتيجه لذلك فإن هذا القسم ، ذي المقاربة الفيبرية الواضحة ، " يعطى وزناً أكبر – مقارنة بغيره – للتأثير الذى تمارسه الأفكار والحركات الاجتماعية فى تغيير ادراكات كلا من العامة ونظم الحكم على حد سواء [٢]

* قسم آخر داخل النطاق الليبرالى ، ينحاز بشكل أكثر وضوحاً إلى (المتغير الثقافى) الذى ينظر إليه بوصفه الفاعل الأكثر دينامية وتأثيرا فى حركة العولمة ، حيث نجد (روبرتسون R.Robertson) يقف فى مقدمة المدافعين عن هذه المقاربة الثقافية ، ذات التوجه البارسونزى ، والتى تمنح مكانة مهيمنة للعامل الثقافى على النظم الفرعية الآخرى فى المجتمع .

وفى تحليله لعملية العولمة يقرر (روبرتسون) : " أريد أن أذهب إلى ما وراء النماذج المبسطة نسبياً ": للسياسة العالمية " أو " الاقتصاد العالمى " ، وذلك بالتركيز على الديناميات المستقلة للثقافة الكوكبية وللوضعية الاشكالية للعامل الثقافى فى المنظور الأكثر تداولا للأنساق العالمية [٣] .

وبالترتيب على ذلك ، فإنه يعتقد أن هناك أربعة قضايا كوكبية كبرى من الممكن مناقشتها فى ارتباط بهذا العامل الثقافى ، وهى تحديداً :

(أ) ***الاعتماد المتبادل الكوكبى*** ، حيث يلعب الوعى الكوكبى دوراً كبيراً فى هذا المقام – يتجلى فى الاهتمام بمصير العالم بوصفه يمثل كلاً واحداً ، وكذا بالأجناس البشرية ، خاصة بسبب تهديدات الإهمال الايكولوجى ، والكارثة النووية ، والايدز ، واستعمار الحياة المحلية بواسطة الحياة الكوكبية عن طريق وسائل الاتصال الجماهيرى فى الأساس [٤] .

(ب) ***العمومية والخصوصية*** ، والتى تجعلنا جميعاً – من وجهة نظره – شهوداً على ، ومشاركين فى عملية ضخمة ذات شقين ترتبط بالفهم

---

[١] V.George, Globalization , (op.cit), P:13

[٢] R.Robertson, Globalization – (op.cit), P:61

[٣] Ibid, p :87

التبادلى لعملية كوكبة الخصوصية وتخصيص الكوكبية ، وهى العملية التى تسهم فى تشكيل الثقافة الكوكبية . حيث ينطوي الشق الأول على فكرة أن العالم قد أصبح معطى ككيان بشرى كوكبى ملموس ، بينما ينطوى الشق الآخر على الانتشار الممتد لفكرة أنه ليس هناك -تقريباً – حداً للخصوصية ، والتفرد ، والاختلاف ، والآخرية [١] .

(ج) ***البحث عن الأصول من منظور كوكبى*** ، ويرصد خلالها ثيمة شائعة وعملية تتم عالمياً فى الوقت الراهن بشكل موسع ، وهى تتعلق ببحث الناس عن الأصول ، وهى ترتبط بتعبيرات شائعة كوكبياً تتعلق بالتقاليد ، والهوية ، والبيت ، والانتماء ، والمحلية .. الخ [٢] .

(د) ***الرأسمالية الكوكبية بين التجانس والتباين الثقافى*** ، حيث نجاح الرأسمالية فى اتاحة التجانس بالدرجة نفسها التى تتيح بها التباين الثقافى ، فى ارتباطه بتنوع الأسواق ثقافياً ، ووطنياً ، ونوعياً ، واثنياً ، وتدرجاً اجتماعياً .. الخ [٣] .

- هذا واذا كانت هذه المقاربة تعطى الأولوية المطلقة للثقافة وفواعلها ، فإن لنا أن نقرر – فى هذا الصدد – أنها ، وكما تشرح المشهد الراهن للعولمة من خلال هذا المنظور ، تكشف لنا بقدر من الرصانة عن مدى هيمنة الثقافة الغربية المتنفذة كوكبياً ، فى ذات الوقت الذى تحفز فيه على وجود الثقافات الأخرى المحلية ، والتنبيه إلى أهمية أن تقوم بدور فى الوجود النشط ، حتى لاتتماهى وتستوعب تماماً داخل نطاق هذه الثقافة الكوكبية الغالبة المهيمنة .
- أما القسم الثالث داخل هذا التيار ، فيذهب إلى أن القوة الدافعة المركزية التى تقف وراء العولمة هى التكنولوجيا ، خاصة الاتصالات والحاسبات ، والتى تجسدت فى ثورة المعلومات خلال النصف الثانى من القرن

---

[١] Ibid, pp : 100 -102

[٢] Ibid, p : 96 .

[٣] Ibid, p :173 .

العشرين ، والتى دفعت وعملت على استمرارية أسواق المال الجديدة ، بوصفها قلب عملية العولمة [١] .

ويعبر (رستون W.Wriston) عن ذلك بقوله : " يختلف نظامنا المالى الدولى الجديد عن سابقيه فى أنه لم يبن من خلال السياسيين ، أو الاقتصاديين ، أو البنوك المركزية – لقد بنى بواسطة التكنولوجيا ، ومن خلال رجال ونساء تواصلوا فيما بينهم عبر الكوكب بوسائل الاتصالات والحاسبات [٢] .

لقد كونت شبكة الاتصالات الحديثة سوقاً عالمية فى هيئة ظواهر سهلة الترقيم كالأموال ، والسندات ، وبرامج الكومبيوتر ، والتصاميم الهندسية . هذه الاتصالات العالمية لم تخلق سوقاً جديدة فى الاقتصاد فحسب ، بل فى الثقافة ، والتسلية ، والموضة ، وحتي في الحكومة أيضاً .

لقد تم نقل قرية (مارشال ماكلوهان M.Mcluhan) العالمية – حسب ما يقرر رستون – إلى دنيا الواقع بجذب العالم أجمع تقريباً إلى محادثة عالمية واحدة ، تقوم بالتقييم ، والموافقة ، أو الرفض عالمياً على المنتوجات ، والخدمات ، والمؤسسات والأفكار التي كانت تقيمَ أصلاً فى الأسواق المحلية [٣]

هذا ، ورغم أن المتشيعون لهذه المقاربة التكنولوجية لايتجاهلون المنظور السياسى والاجتماعى للعولمة ، فإنهم يصرون على أن المنظور التكنولوجى له الأولوية ، وهو يحدد المجالين السياسى والثقافى [٤] .

(٢) التيار اليسارى :

تنطلق مساهمات هذا التيار من منظور أكثر تماسكا ومباشرة فى تحديده لفواعل العولمة ومتغيراتها الدافعة . وهو ما اتضح منذ البداية فى

---

[١] V.George, Globalization (op.cit), p:4

[٢] W.Wriston, Technology and society, Foreign Affairs, col (67), 1988/89, p:71.

[٣] ولتر . رستون ، أفول السيادة ، ترجمة سمير نصار وجورج خورى ، دار النسر للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٩٤ ، ص ٦٠ .

[٤] V.George __, Globalization - , (op.cit), p:5

تعريف العولمة بأنها عولمة للرأسمالية • ناهيك عن الحركات المضادة لها ، والتى هى فى اشتباك معها بدرجات متفاوتة ، فى التحليل الأخير •

ومن ثم كان الحديث عن الرأسمالية ، بمثابة الاطار الجامع لكافة المتغيرات بمستوياتها المختلفة • وبالترتيب عليه ، لم تكن هناك ضرورة لتشتيت الانتباه والتوزع عبر متغيرات جزئية وفرعية ، كالمتغير التكنولوجى ، أو الثقافي ، أو حتى بالحديث عن الفواعل فى كليتها دون تمييز بين أساسي ومترتب •

هذا وتمثل النزعة التوسعية المضطردة للرأسمالية العالمية ، بأيديولوجيتها الليبرالية الجديدة ، العامل الأهم والغالب على كافة العوامل التى أسهمت وتسهم فى بلورة ما يطلق عليه عملية العولمة ، لدى المنتمين إلى هذا التيار • فقد أصبح النمط الرأسمالي المعمم عالميا يمثل – بمستوياته المختلفة – ما يمكن أن نسميه موضوعياً – وبصرف النظر عن أحكام القيمة الايجابية والسلبية – حضارة عصرنا الراهن •

انها تحقق موضوعى لوحدة انسانية شاملة لأول مرة فى التاريخ ، ذات نمط انتاجى محدد وسائد على اختلاف مستوياته • هذا النمط الذى يعد امتداداً لنمط الانتاج الرأسمالى منذ القرن السادس عشر وحتى الثمانينات من القرن العشرين • ففي هذه الثمانينات أخذ هذا النمط الانتاجى ينتقل نقلة كيفية من حالة العالمية التى كانت تتمثل فى التوسع والاحتكار والتركيز فى أشكال متنامية مختلفة من الكارتيلات والسنديكات والترستات ، أي الاحتكارات الكبرى داخل المجال القومى الواحد ، ثم بين الاحتكارات متعددة القومية إلى الحالة التى نصفها بالعولمة ، التى تتمثل فى هيكلة العالم كله وقولبته داخل نمط الانتاج ا لرأسمالى بمستوى أو آخر ، ويتجلى هذا فى السيادة العالمية للاحتكارات الرأسمالية الكبرى متعدية القومية التى أصبحت

لها قوانينها الذاتية ومؤسساتها الخاصة غير المحكومة بشكل مباشر من دولها القومية ، وان لم تكن منفصلة أو معزولة عنها [١] .

ويمثل اغراء تدفق رأس المال الخارجي ، وبالتحديد من البلدان الرأسمالية المتقدمة إلى الأخرى النامية ، أكبر دافع ومحفز للحكومات الوطنية لنبذ السياسات الاقتصادية التى تهدد الأرباح أو تضعف من عملية التدفق ، ومن ثم فتح اقتصاداتها أمام قوى السوق وتبنى السياسات الليبرالية الجديدة [٢]

- وإذا كانت الرأسمالية بطابع انتاجها واستهلاكها وايديولوجيتها المميزة، هى المتغير الرئيسى المحرك لعملية العولمة بشكل عام، فإن هناك من المنظرين من حاول بلورة رؤية أكثر تحديداً لأهم متغيراتها الداخليه الفاعلة. ومن أبرز المساهمات فى هذا الصدد، المساهمات التى قدمها (سكلير) و (روبنسون) واللذين اهتما بكيانات فاعلة تتمثل فى الشركة متعدية الجنسية، والطبقة الرأسمالية متعدية الجنسية، والايديولوجيا الاستهلاكية .

حيث قام (سكلير) بتصنيف الشركات متعدية الجنسية وفقاً للقطاع الذى تعمل فيه ، وكانت المحصلة الانتهاء إلى وجود خمس قطاعات عمل رئيسية هى: (١) السلع والخدمات الاستهلاكية . (٢) الخدمات المالية (٣) الصناعة الثقيلة (٤) البنية التحتية (٥) الاليكترونيات .

وهو يقرر " ان هذه الشركات متعدية الجنسية خلقت مستويات غير مسبوقة من التحالفات الاستراتيجية والتشبيك الكوكبى ، وهو ما قد يحدث بين أقسام مختلفة من نفس الشركة ، أو بين أقسام مختلفة لأكثر من شركة متعدية الجنسية ، أو بين شركتين أو أكثر من هذه الشركات من أجل تحقيق هدف بعينه ، وهو ما يفضى إلى خلق شكل جديد للإقتصاد الكوكبى ،

---

[١] محمود أمين العالم ، العولمه وخيارات المستقبل ، كتاب قضايا فكرية ، العدد التاسع عشر والعشرون ، القاهرة ، اكتوبر ١٩٩٩ ، ص ١١ .

[٢] J.Fulcher, Globalisation, The Nation – state, (op.cit), p:530

الرأسمالية المتحالفة • وهو ما تتنبأ به نظرية العولمة الرأسمالية. ان الشركات متعدية الجنسية تفك ارتباطاتها مع بلدان المنشأ وتبحث عن حلفاء حول العالم من الشركات الأخرى الشبيهة من أجل تحقيق الفوائد والمكاسب التجارية [١]

وتمثل هذه الشركات قلب عمليه العولمة – خاصة الاقتصادية – وهى تعد الفاعل الرئيسى فى عولمة رأس المال العولمى ، وعولمة نمط الانتاج الرأسمالى • وهى الشركات التى تمتد أنشطتها وتتشعب ، وتتولد عن أنشطتها هذه أربعة أخماس الطاقة الاقتصادية العالمية [٢] .

- أمّا المكون الثاني الفاعل فى الرأسمالية الكوكبية فيتجسد فيما اطلق عليه (سكلير) و (روبنسون) و (هاريس) الطبقة الرأسمالية متعدية الجنسية – وحسب ما يقرر (روبنسون W.Robinson) وهاريس J.Harris) فإن هذه الطبقة قد بزغت بالفعل • وهي طبقة حاكمة كوكبياً ، حيث تسيطر علي آليات حركة الدولة بمؤسساتها عابرة القومية ، الي جانب عملية صنع القرار الكوكبى • وهى طبقة تشكل كتلة متجانسة جديدة مكونة من قوى اقتصادية وسياسية متعددة ، والتى ستصبح ا لقطاع المهيمن للطبقة الحاكمة عبر العالم ، بين الدول المتقدمة فى الشمال وكذا فى الجنوب • وسياسات وبرامج هذه الكتلة الحاكمة مشروطة بالبنية الكوكبية الجديدة للتراكم والإنتاج الرأسمالي [٣] .
- وعلى مستو ثالث نجد المكون الايديولوجى / الثقافى للعولمة • حيث نجد أن عديداً من المنظرين يقررون أن القوة الدافعة للعولمة تكمن ليس على

---

[١] I. Sklair, Globalization, capitalism and Alternatives, (op,cit). Pp:64 –65 .

[٢] G. Thompson, Economic Autonomy and The Advaced industrial state, in : A.Mcgrew and P.Lewis(eds) Global Politics, Globalization and The nation – state, Polity press, cambridge, 1992, p : 203.
- Also : R.J.Barnet and cavanagh.J, Global Dreams, simon and schuster, new york, 1999,pp :14-17.

[٣] W.Robinson and J.Harris, Towards A global Ruling class, Globalization and Transnational capitalist class, Science and society, col. 64, no. 1, spring 2000, p:11.

النطاق الاقتصادى ولا السياسى،وانما على النطاق الثقافى الايديولوجى [١].

ويهدف المشروع الايديولوجي / الثقافى للرأسمالية الكوكبية إلى دفع الناس لأن يستهلكوا ليس لإشباع احتياجاتهم البيولوجية والاعتيادية ، بل كاستجابة لرغبات خلقت اصطناعياً ، وذلك من اجل المزيد من مراكمة رأس المال [٢]

وهو ما دعا الباحثون فى العولمة إلى التركيز على دراسة التحولات فى المجال الكوكبى لأنماط خاصة من المؤسسات متعدية الجنسية ، تلك التى تملك وتسيطر على وسائل الاتصال والاعلام الجماهيرى ، والقنوات التليفزيونية ووكالات الاعلان متعدية الجنسية • وهى مرتبطة غالباً بأنماط خاصة من الاستهلاك وثقافة وايديولوجيا الاستهلاك على نطاق كوكبى [٣]

• تلك هى القوى الدافعة للعولمة ، وفقاً لأحد أهم وأحدث المساهمات اليسارية ذات الطابع النظرى والتطبيقى المحكم • وهى القوى التى وصفها (سكلير) وصفاً تصويرياً بقوله : " تمثل أيديولوجيا الثقافة الإستهلاكية الوقود الذى يشحن محرك الرأسمالية الكوكبية • أما قائد المركبة فهو الطبقة الرأسمالية متعدية الجنسية ، لكن عجلة القيادة نفسها فى يد المؤسسات متعدية الجنسية الهائلة ، كما أن من يملكون ويسيطرون على الشركات متعدية الجنسية هم القواد الرئيسيون للعولمة الرأسمالية [٤] .

ثالثاً : انعكاسات العولمة وردود الفعل ازائها :

وكما تباينت الرؤى والمواقف ازاء عملية العولمة ، تاريخها وفواعلها ، وفقاً للاطار النظرى والمنطلق الإيديولوجى نجد الشىء نفسه ازاء الانعكاسات والنتائج وردود الفعل •

---

[١] Ibid, p:105 a

[٢] Ibid, p: 62

[٣] Ibid, p: 146 .

[٤] Ibid, pp: 62-63 .

وفى عبارة ، تعد تأثيرات العولمة ونتائجها فى منظور الليبراليون ايجابية على طول الخط لدى التكنولوجيون منهم، ومتراوحة بين الايجابية والسلبية فى رؤى الثقافايون ، فى حين تعد سلبية تماماً لدى المنظرين اليساريين.

وهى العبارة التى نفصلها فيما يلى بقدر أكبر من الوضوح .

اولاً : الليبراليون :

(١) في المنظور التكنولوجى :

على المستوى الاجتماعى ، يؤكد الاتجاه العام لكتابات هذه المجموعة على النتائج المرغوبة للعولمة . وينظر إلى التغيرات فى الاقتصاد ، والسياسة والثقافة على أنها ستكون ذات نفع للجميع فى أنحاء العالم ، لأنها ستؤدى الى رفع مستوى الانتاجية ، والنمو الاقتصادى ، ومستويات المعيشة ، " أنهم يخلقون عالم المجتمعات الديمقراطية فى النظام الكوكبى ، ويجعلون الناس يتحاورون معاً ثقافياً. ورغم وجود المشكلات فإنها تعد مشكلات الاصلاح والتوافق والتي ستحل تدريجياً مع نضج العولمة [١]

وهم يتحدثون بحماس عما أحدثته الطفرة الكيفية فى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات ، حيث يقررون أن الأفراد والتنظيمات والمؤسسات ... لم يعودوا مقيدين بمواقعهم الجغرافية ، حيث توافر امكانات متزايدة للإنفتاح الداخلى والخارجى ، فى اندفاع محموم للمشاركة والتواصل مع الآخر ، سواء أكان مشابهاً لنا أو مختلفاً عنا ، وهو النشاط الذى يمكن من خلاله إعادة تشكيل العالم الاجتماعى بمقادير متفاوتة نسبياً من الفاعلية ، وبالإحتكام إلى القوة النسبية التى يحوزها الفاعلون على مستويات وصعد متعددة [٢]

---

[١] V.George ..., Globalization - , (op.cit) p:6 .

[٢] James slevin, The Internet and society, polity press, combridge, 2000, pp:149 – 156.

حقاً لقد غيرت تقنية الأقمار الصناعية العالم إلى الأبد ، ولم تصل النتائج الكاملة إلى نهايتها حتى اليوم • حيث تربط الأقمار الصناعية العالم الآن من خلال بنية تحتية اليكترونية تنقل الأخبار والمال والبيانات إلى أي مكان فى العالم بسرعة الضوء [١]

هذا ولعل قوة هذه المقاربة " التكنولوجية " تكمن – كما يرى البعض – في أنها تضيء السبل التى أثرت من خلالها التكولوجيا والأسواق على طبيعة العمليات الاقتصادية ، وتحويل البعض منها • كالتدفقات المالية ، إلي قوى كوكبية •

أما ضعف هذه المقاربة فيكمن في أنها تحدد العولمة – مبدئياً – فى تعبيرات اقتصادية ، وهى تصيغ ادعاءات وافرة بشأن حدود العولمة فى الوقت الراهن ، وتنبؤاتها بأن العولمة ستخلق عالماً من النيوليبرالية خال تماماً من الحدود فى المستقبل [٢]

* ونتيجة للتركيز " وحيد الاتجاه " – تقريباً – على المتغير التكنولوجى وآثاره الايجابية غير المشكوك فيها • وكذا عدم رؤية هذا المتغير فى سياقه المجتمعى الأشمل ، نجد أن تحليلات ورؤى هذه المقاربة لايمكنها معاينة الفجوة التكنولوجية بين دول متقدمة وأخرى نامية أو متخلفة ، فضلاً عن تاريخية هذه الفجوة ، والدور الذى تلعبه المراكز الرأسمالية فى صدد تكريس هذه الوضعية •

وهناك من يرصد كيف " تمكن الثورة التكولوجية الاتصالية الراهنة المراكز الرأسمالية المتقدمة من إعادة هيكلة أدوارها في النظام العالمي ، والاكتفاء بالتخصص في فروع التكنولوجيا الأرقى والبازغة ، وفى انتاج

---

[١] Walter Wriston, The Twilight of soveteignty, Mcmillan publishing company, new york, 1992, pp:142 –158

[٢] Vic.george, Globalization -, (op.cit), p:7

المعرفة الضرورية لتشغيل هذه الفروع (البحوث الأساسية والابتكارات وميدان البحث والتطوير) • وفي المقابل ، يتم نقل فروع الانتاج الكلاسيكى إلى دول مختارة من العالمين الثانى والثالث • وتحظى التجارة الدولية بقوة دفع مع تطور ونمو الاستثمارات المباشرة التى تقوم بعملية النقل هذه ، ومع تغير المزايا النسبية للانتاج فى هذه الفروع الصناعية الكلاسيكية [١] .

- واذا كان أصحاب هذه المقاربه " التكنولوجية " يتحمسون للتأثيرات والنتائج الايجابية المتوقعة للعولمة إلى الحد الذى يجعلهم ذوو منظور وحيد الاتجاه ، فإن المنتمين إلى المقاربة الثقافية – ضمن نفس هذا التيار الليبرالى – يبدون قدراً أكبر من العمق فى تناولهم لهذا الجانب • ذلك أن تأثيرات العولمة – بالنسبة لهم – يتجادل فيها الكوكبي والمحلى من ناحية ، والايجابى والسلبى من ناحية أخرى •

ومن ثم ، نجد أن الرسالة المركزية لأصحاب هذه المقاربة مؤداها :" أنه رغم خضوع العالم لعملية متنامية من التواصل البينى والاعتماد المتبادل ، فإن هذا لايعنى أن التأثيرات المحلية قد اختفت من حياة الناس • حيث ينظر إلى الناس كفاعلين نشطين ايجابيين ، تفاعليين Reflexive يستجيبون " بالتفكير " فى التأثيرات العولمية التى تأتى إلى طريقهم • وبهذا تكون " التفاعلية" أمراً مركزياً لفهم العولمة [٢]

ويحددها (جيدنز Giddens) بأنها تعنى " نوعية الفعل البشرى إزاء موضوع الممارسات الاجتماعية المتعلقة بالاختبار والاصلاح المنظم فى ضوء معرفة متحصلة بشأن هذه الممارسات ، والتى تفضى إلى تحويل بنائى منظم فى شخصياتهم [٣]

---

[١] محمد السيد سعيد ، العولمة والقيم الثقافية فى مصر ، كتاب قضايا فكرية ، العدد التاسع عشر والعشرون ، (م•ش•ذ) ص ١٧٨ •

[٢] V.George, Globalization - , (op.cit), p:13

[٣] A. Giddens, The consequences of modernity, (op.cit) p: 38

ولكن ، وعلى الرغم من الطرح ا لايجابى لمفاهيم كالتفاعلية ، ومحاولات نقد هيمنة المركز " الثقافية تحديداً " على المجتمعات المحلية غير الغربية ، يظل هامش الحركة قاصراً على نطاق الثقافة • ومن ثم نجد أن " تفاعلية " جيدنز المقترحة لاتتعد نطاق الاستجابة " بالتفكير " فى التأثيرات العولمية من جانب الأفراد والجماعات المحلية ، دون حديث عن مستويات أوسع نطاقاً أو أكثر عمقاً ، تتعلق بسياقات تشكيل وإعادة انتاج البنية الثقافية وآليات حركتها وفاعليتها •

- هذا وبالإضافة إلى (مفهوم التفاعلية) الذى يتحمس له المنتمون إلى هذه المقاربة ، نجدهم يطرحون مفهوما آخر مشابها فى هذا الصدد ، وبنفس القدر من الحماس •• وهو مفهوم (العولمحلية The Glocalization) •والذي يعد بمثابة المساهمه الأساسية لمقاربة الثقافة الكوكبية • وقد طرحه مجموعة من الدارسين من عدة بلدان ، كان همهم الرئيسى منصباً على تبين وفهم الشبكة المعقدة الضخمة ذات الأوجه المتعددة للعلاقات المحلية – الكوكبية [1] حيث علاقة التفاعل الدينامي بين تأثيرات العولمة – بآلياتها المختلفة – وكيفيات الاستجابة والتفاعل معها فى المجتمعات المحلية •

" واذا كان (ملينار Mlinar) هوالمطور الأوربى لنموذج العولمحلية ، فإن (الجر Alger) هو المطور الامريكى لهذا المفهوم • ولعل ما يجمع بين ملينار والجر هو محاولة التنظير والتساؤل البحثى حول ما يحدث للهويات المحلية ، داخل وعبر البلدان ، في سياق عملية العولمة [2] •

وبناء على هذا المفهوم نجد من الباحثين من يقترح ألا يكون التعامل مع التدفقات الثقافية الغربية حاداً وقاطعاً بالرفض ، حيث أن ذلك الأمر لايعد مجدياً فى ظل هيمنة الثقافة الغربية فى عصر العولمة • ومن ثم فالأوفق –

---

[1] L.Sklair, competing conceptions, (op.cit). p:153

[2] Ibid, p : 153 .

من وجهه نظره – " أن يتم هذا التعامل من خلال تبنى مفهوم العولمحلية • واذا كان هذا المفهوم قد صك ليصف عملية بيع السلع والخدمات على نطاق كوكبى ، وان يكن بمراعاة الملائمة مع أسواق محلية بعينها ، فإنه قد يصدق أيضاً على مجال الثقافة ، حيث فكرة التهجين الثقافى ، أو عملية خلط الأجنبي بالمحلى لصياغة منتج جديد [١] .

وعلي مستوى آخر ، ينتقد البعض مقولات تتعلق بالهيمنة الثقافية المطلقة للمركز الرأسمالى على الدول المحيطية على أساس " أن عملية العولمة (الحالية) تثبت أن الثقافات التقليدية مانزال متواجدة ولم تقم الثقافة العولمية بإزاحتها [٢] ، وإن من يقول بغلبة هذه الهيمنة الثقافية وحيدة الاتجاه إنما يغفل بذلك عملية نشطة للعولمحلية" ، حيث إن الأشكال والمعانى الثقافية المتدفقة من الغرب لا تتقابل مع أنماط ثقافية جامدة وساكنة ، ولكنها تتواجه مع اشكال ومعان ثقافية محلية قائمة بالفعل ، حيث يتم الحوار فيما بينهما ، حيث لاتعبر رؤى وخبرات السكان المحليين عن مجرد مستهلكين سلبيين ومتلقين غير ناقدين للثقافة الغربية • إنهم يلعبون – في الغالب – دوراً نشطاً وايجابياً ومبدعاً فى تحويل ثقافاتهم أثناء تعاملهم مع العناصر الثقافية المتدفقة عليهم من الخارج [٣]".

ورغم الايجابية الواضحة لهذا الطرح ، نجد أنه من الخطأ الاعتقاد بأن التحولات العولمية ، ذات الجوهر الاقتصادى ، ستكون لها تأثيرات فورية على المستوى السوسيو/ ثقافى فى المجتمعات المحلية ، فالأخير يحتاج إلى فترات أطول نسبيا كي يستوعب ما يتدفق عليه من خارجه •• وقد تناول (وليم أوجبورن) منذ عقود طويلة وضعية كهذه ، حيث أطلق على حالة عدم الاتساق فى التحولات التى تطرأ على البني التكنولوجية

---

[١] Tony Schirato And Jen Webb, Understanding Globalization, Sage publishers, London, 2003, p: 156.

[٢] محمد السيد سعيد ، العولمة والقيم الثقافية ، (م س ذ) ، ص ص ١٦٥-١٦٧

[٣] Ulrike Schuerkens, The Sociological and Anthropologicl Study of Globalization and Localization, current sociology, May/july. 2003, vol 51(314) p :215.

من ناحية ، والثقافية من ناحية أخرى مسمى (الهوة الثقافية The cultural Lag)

.ومن ثم فليس معنى أننا لم نلحظ تحولاً فورياً شاملاً للبنية الثقافية تتسق مع تحولات البنية الاقتصادية التكنولوجية ، أن الأولى بمنأى عن عمليات التحول التى تصيب الأخيرة ، بل اننا نشهد بالفعل مظاهر وتجليات عديدة لما يطلق عليه قشور الثقافة العالمية فى مجتمعاتنا المحلية على اتساع المعمورة . ورغم ذلك ، يظل هامش المناورة قابلاً للاتساع مع كل تفاعل ايجابى يحمل قدراً من الابداعية، والتنظيم، والاستمرارية ، وذلك مع الوضع فى الاعتبار لدرجات ومستويات التأثير المتفاوتة بين كلا النطاقين المحلى – العولمى ، كماً وكيفاً .

ثانياً : اليساريون :

لاير المنتمون إلى هذا التيار فى العولمة الرأسمالية سوى آثارها السلبية ، حيث " أن تأثيراتها على الرفاهية البشرية هى في أفضل الحالات سلبية ، وفى أسوأها مدمرة ، سواء على المدى القريب أو البعيد [١]

وفى هذا يذهب (سمير أمين) إلى أنه " فى حين تعد شبه النظرية الليبرالية وخطابها الايديولوجى البشرية بأكملها بالخلاص ، فإن هذا الوعد يتجاهل جميع دروس التاريخ ، فالليبرالية المعولمة القائمة بالفعل لايمكنها تقديم سوى المزيد من اللامساواة بين الشعوب (زيادة الاستقطاب العالمى) ، وفى داخل الشعوب (سواء فى الجنوب أو الشمال) . هذا الافقار الشديد ، المرتبط بطبيعة التراكم الرأسمالى ، يجعل الديمقراطية مستحيلة ، ملغياً قدرتها على الابتكار فى المراكز المتقدمة ، فتحل ديمقراطية منخفضة المستوى محل التقدم فى السيطرة الاجتماعية على التحول ، ويحول تبنى التخوم لأشكال سياسية ذات مظهر ديمقراطى إلى مهزلة [٢] .

---

[١] V.George, Globalizatiotion -, p: 10 .

[٢] سمير أمين ، الفيروس الليبرالى ، الحرب الدائمة وأمركة العالم ، ترجمة سعر الطويل ، سلسلة كراسات غير دورية رقم (١٨) ، مركز البحوث العربية والافريقية ، القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ص ٢٣ .

وتظل العولمة الرأسمالية قائمة ومؤثرة بشدة ليس فقط على الرؤى المادية لحيوات الناس ، ولكن أيضا على توجهاتهم ، وقيمهم ، وسلوكياتهم ، وذلك عبر وسائل الاعلام الكوكبية المهيمن عليها بواسطة مؤسسات ضخمة متعدية الجنسية . ونتاج ذلك يتمثل فى الهيمنة على الثقافات ، وكذا وضع معايير لأساليب الحياة ، وجعلها متطابقة . وكما يقرر (دوبينوس De Benoist) : لم تعد الرأسمالية تبيع السلع والبضائع فقط ، انها تبيع أيضا الشارات " العلامات " ، والأصوات ، والصور الذهنية Images، والبرمجيات Software، والاتصالات ، والعلاقات . انها تستعمر الخيال وتهيمن على الاتصالات بين البشر [١] .

ان هناك وعى مستقر مفاده : إن تبنى الأنماط الثقافية الغربية ، وبشروط معينة ، يؤدى إلي نجاح التغلغل الرأسمالى فى شقة الاقتصادى الصرف . ومن ثم نجد " أن عولمة الرأسمالية تنتج ثقافة كوكبية جديدة مرمزة بـــ : س . ان . ان ومجموعة من المنتجات الاستهلاكية ذات العلامة المسجلة مثل : كوكاكولا ، ماكدونالدز ، ليفيز ، موسيقي البوب ، المولات التجارية ، المطارات الدولية ، سلاسل الفنادق .. الخ .

هذه الوضعية التى تتيح للأقلية المتميزة التى تشارك كلية فى هذه الثقافة مجالاً ممتداً ومثيراً من الفرص والخبرات الجديدة ، بينما هى بالنسبة للأغلبية، خصوصاً فى العالم غير الغربى الذى يعيش فى الهوامش ، ويتغذى على فتاته ، ثقافة دخيلة ومخيفة [٢].

وعلى المستويات الثقافية الأعلى فى تلك البلدان ، نجد العديـــد مـــن البشر ، والذين منهم المشتغلون بالثقافة ، وهم معيشون فى ظل قيم يتعاملون بها دون فهم حقيقى لجوهرها ، فى كثير من الأحيان ، حتى اننا نجد مشهداً

---

[١] V.George, Globalization, (op.cit) p :10

[٢] Mel Gurtov, Global Politics in The Human Interest, Lynne Reinner Publishers, colorado, 1999,p:12.

ثقافياًتتواتر خلاله العديد من المقولات والمفاهيم العالمية الشائعة ، والتى لم تتولد أو تشتق بشكل طبيعي من خلال السياق السوسيو/ ثقافى لتلك المجتمعات المحلية ، حيث يتم التعامل معها تعاملا تغلب عليه السطحيه والابتذال ، فى حين تتوارى وتتضاءل الفرص أمام الطروح الثقافية الأصيلة ، والتى تنبع فى الأساس من خلال منظومة بنائية تعمل فى اتساق وفق استراتيجية عامة ، وان لم نعدم وجود تلك الطروح النادرة التى تصدر على مستويات فردية أو جماعية محدودة النطاق ، مرتبطة بتكوينات فريدة ذات تميز وقدرات خاصة .

٢ واذا كان (سكلير) قد لخص أزمات العولمة الرأسمالية فى أزمتين رئيسيتين هما : أزمة الاستقطاب ، خاصة الطبقى ، والأزمة البيئية ، فإنه قد تجاوز مرحلة التوصيف والتحليل لهذه الوضعية ، ليطرح فكرته المتعلقة بإمكانية التحول من العولمة الرأسمالية (الوضع الحالى) إلى الديمقراطية التعاونية (شكل انتقالى للمجتمع) حتى العولمة الاشتراكية (حيث لابد أن نتجه) ، بما يصاحبها من ايديولوجيا ثقافة حقوق الانسان الكونية (Universal) . وهو مايمكن أن يتحقق من خلال الازالة التدريجية لأيديولوجيا الثقافة الاستهلاكية واستبدالها بالأيديولوجيا الثقافية لحقوق الانسان . يعني ذلك ، أنه بدلا من التركيز على التملك والاستحواز تغدو حياتنا معاشة بتقدير أكبر للنظام الكونى لحقوق الانسان ومسئولياتنا تجاه الآخرين وحقوقهم . لايستدع ذلك بالطبع التوقف عن الاستهلاك ، وإنما ينطوى على النظر الى استهلاكنا فى ضوء الحقوق والمسئوليات [٢] .

---

[٢] L. Sklair, Globalization, capitalism And its Alternatives, (op.cit),p : 299 .

هذا التحول الذى يعتمد على تبنى رؤى مضادة وبديلة لما هـو قـائم ومهيمن فى الراهن ، والحركة من أجل تحقيقها ، فإذا كانت هناك عولمة من أعلى تصير مجمل مضاداتها بمثابة العولمة من اسفل ٠

العولمة من أسفل :

تتبنى الحركات المضادة للعولمة قناعات عامة مؤداها أن العولمة فى مفهومها الأشمل والأعمق ليست قاصرة على الرأسمالية ، بـل ان البـدائل ممكنة ،.وهي فى طور التبلور تجاه ما هو أكثر انسانية ٠ وكما أن عمليـة العولمة " الرأسمالية " محملة بقيم غالبة تنتصـر للـربح ، والاسـتغلال ، والاستهلاك ، واستنزاف الفوائض ٠٠ فإن بالامكان تماما بقـيم العدالـة ، وحقوق الانسان ، والتفاعل الايجابى الخلاق بين البشر ٠ وهو اتجاه يتنامى فى الغرب وينتشر عبر العالم بقدر متزايد ، من خلال من يطلـق علـيهم : مضادو العولمة ، والذين يشكلون جبهة رافضـة تتكـون مـن أشـخاص وجماعات تنتمى إلى خليط أو موازاييك من الاتجاهات التـى تمثـل ألـوان الطيف ، من اليمين إلى اليسار ، والذين ينتقدون ، ويتظاهرون ، ويحتجون قولاً وفعلاً على العديد من الممارسات ذات الطابع الاستغلالي والاستهلاكى للعولمة الرأسماليه ٠ وهم يتقاطعون على أرضية مشتركة مع أصحاب اتجاه آخر سابق عليهم منذ عقود عديدة خلت ، ونقصد بهـم " مقـاومو الهيمنـة الثقافية – Counter culturalism ،الذين ينتقدون قـيم الهيمنـة الثقافيـة الغربية ٠ ويقرر (واجار W.Wagar) ان ما يعـد المسـاهمة الرئيسـيه للمخيلة السياسية المستقبلية لأصحاب هذا الاتجاه تتمثل في اصرارهم علـى لامركزية القوة ، حيث يستشرفون مستقبل الديمقراطية متمثلا فـى تحـول المسئولية إلى الناس مباشرة ، ولمجتمعاتهم المحلية العديدة والمتنوعة [١].

---

[١] W.Wagar, The Next Three futures, paradigms of things To come, Green wood press London, 1991 ,pp :90 – 94

ورغم وعينا باختلاف الأوزان النسبية للقوة التى تحوزها مؤسسات العولمة الرأسمالية وكياناتها المهيمنة على مستويات وصعد مختلفة ، فى مقابل الحركات المناقضة لها ، تظل هناك امكانية متاحة أمام جهود تبذل فى الراهن والمستقبل بهدف استبدال عولمة الرأسمالية ، أو على الأقل تعطيل مسيرتها ، مهما بدت تلك الجهود جنينية فى الراهن .

هذا ولعله من المهم للغايه أن نعلم " أن قوتنا كأناس عاديين فى التأثير على مستقبل العالم على اتساعه قد نالت مؤخرا دعما غير متوقع من علماء الرياضيات والحاسبات الآلية الذين يدرسون " الفوضى chaos" ، انهم يدرسون الفوضى من خلال ما يطلق عليه " تأثير الفراشة The Butterfly Effect"، حقيقة ان فعلا ضئيلا للغاية كحركة جناح الفراشة قد يكون ذا تأثيرات ضخمة على النظام العشوائى الكامن والظاهر . يعنى هذا أنه عندما نختار كأفراد ، فإننا نختار بشكل حتمي لكل الجنس البشرى . هذه المعرفة التى تمنحنا شعورا وحسا مضاعفا بالمسئولية تجاه ما نقوم به من أفعال (١) ، بالاضافة الي نزوع نحو التفاؤل بقدرة الانسان على التغيير ، حال وعيه بدوره وقدراته ، مهما تفاوتت كما وكيفا على مستوى كوكبى .

اننا نمايز هنا بين عولمه من أعلى Globalization from Above تقوم بها الرأسمالية بشركاتها الكبرى ، وأسواقها ، ومستثمريها ، ونخبتها الاجتماعية والثقافية ، وعولمة من أسفل G.From below تعارض وتناقض الأولى من خلال الناس العاديين فى القواعد Grass-roots حول العالم ، والذين يتواصلون معا لإبراز مطالبهم ، ومصالحهم ازاء عملية العولمة (٢) .

---

(١) Ibid, p:X .

(٢) Jerrny Breacher Et al, Globalization from below, WWW. Southendpress. Org/books/globalexc. Shtml, p:1.

هذا وتنطوى عولمة الحركات الاجتماعية المناهضة للعولمة الرأسمالية على " تأسيس شبكات متعدية الجنسية من الناس ذوى المصالح والاهتمامات المتشابهة – إلى حد ما – والهويات المتقاربة ، وذلك خارج نطاق السيطرة الدولية ، ونظام الدولة ، والسلطات المحلية [١] .

وقد كانت البدايات الفعلية لهذه الحركات فى نهايات عام ١٩٩٩ ، حينما شارك عشرات الآلاف من المحتجين خلال مؤتمر منظمة التجارة العالمية الذى انعقد فى سياتل . هؤلاء المحتجون ليسوا من عمال الصلب والصناعة فقط ، بل من كليات جامعية ، وأعضاء لجماعات كنسية ، وجماعات المستهلكين ، وأصدقاء الأرض والمجتمع الانسانى ..[٢] .

ولا تمثل هذه الحركات الاجتماعية الجديدة تهديدا للعولمة الرأسمالية فقط ، بل انها تمثل تهديداً أكبر لنظام الدولة القومية كذلك . حيث " تواجه الدولة القومية تحدياً متزايداً مع اتساع أرضية الحركات النسوية الجديدة ، وجاذبية حقوق الانسان ، وحركات السلام ، فضلاً عن حركات البيئة ، والتى أصبحت منظمة كوكبياً . وهى كحركات نشطة ، تستخدم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لخلق شبكات تمتد عبر الحدود الوطنية ، وتمكنها من نشر رسائلها وتحريك الرأى العام العالمى ضد نظم ، وسياسات ، وممارسات دول بعينها ، مستخدمين فى ذلك وسائل الإعلام الكوكبية لتعميم قضاياهم بشكل درامي [٣] .

ورغم إن هذه الحركات لاتحوز أى سلطة لتنفيذ مبادئها وأفكارها وقيمها فى مقابل حكومات الدول ، إلا أنه من المحتمل ، مع هذا ، أن تقوم بدور مهم على المسرح العالمى ، ذلك ان بامكانها تقدير المواقف بكثير من

---

[١] L.sklair, Globalization - , (op.cit), p:278

[٢] J.Brecher, Globalization - , (op.cit), p:1

[٣] James Fulcher, Globalization, The Nation- state and Global society, (op.cit) .p :532.

الحرية والمرونة بأكثر من الحكومات النظامية ، وتستحوز على رأى الجماهير بقدر أكبر مما تستحوز عليه اتحادات الشركات التى تتبع مصالح أصحاب الأسهم فيها [١].

ورغم ان كافة المشاركين في هذه الحركات يتشاطرون التزاما بمقاومة العولمة الرأسمالية ، أو العولمة من أعلى ، فإنهم يختلفون فيما يتعلق بالبديل الذى من الممكن ان يحل محلها • حيث نجد أن البعض منهم يهدف إلى العودة بالعولمة إلى الوراء والمحافظة – حقيقة أو تصورا – على الاقتصادات الوطنية الماضية • والبعض يقدم أجندة لإصلاحات جزئية لتصويب مسار العولمة • والبعض الآخر مستعد لاحتضان عالم اكثر تواصلا وأقل محلية ، شرط أن يكون مختلف جذريا عن عالم العولمة المتواجد فعليا والمخلوق من أعلى •

ويقرر (بريشر وزملاؤه) : " ان هذه الحركات ستنجح فقط اذا استمرت فى المقاومة والاصلاح ، والتحول، التحول المتجذر في مقاومة اليوم • فضلا عن خلق المؤسسات التى تحافظ على الديمقراطية ، والتنوع ، والتوازن البيئى الذى دمرته العولمة من أعلى • هذا التحول الذى يتطلب استراتيجية متعددة المستويات ، وبرامج لوضع قواعد جديدة للاقتصاد الكوكبى ، يتم من خلاله نقل الثروة والقوة إلى الناس العاديين : المقرطة السياسية والاقتصادية على اتساع العالم [٢]

---

[١] كيمون فالاسكاكيس ، العولمه كمسرحية ، المجله الدولية للعلوم الاجتماعية ، العدد (١٦٠) ، يونيو ١٩٩٩ ، ص ص ٢٩ – ٣٢ •

[٢] J.Brecher, Globalization from below, (op.cit).p:2